

سورة الحديد سورة مدنية ، وهي المسورة الوحيدة من سور القرآن الكريم التي تحمل أسم عنصر من العناصر المعروفة لنا والتي يبلغ عددها مائة وخمسة عناصر ، ويعجب القارئ للقرآن لاختيار هذا العنصر بالذات اسما لهذه المسورة التي تدور حول قضية إنزال الله من السماء ، وبأسه الشديد ، ومناضحه للناس ، وتبدأ المسورة المكريمة بتأكيد أن كل ماضي السماوات والأرض خاضع بالعبودية لله ، مسبح بحمده ، منزله له عن كل وصف لا يليق بجلاله ، لأنه (تعالى) هو العزيز الحكيم ، الذي له ملك السماوات والأرض ، الذي يحيي ويميت وهو علي كل شيء قدير ؛ وتواصل الآيات مزيدا من صفات هذا الخالق العظيم فهو الأول بلا بداية ، والآخر بلا نهاية ، والظاهر فليس فوقه شيء ، والمباطن فليس دونه شيء ، وهو العليم بكل شيء ، فلا تخفي عليه خافية في الأرض ولما في السماء ؛ وأنه (تعالى) خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوي علي العرش استواء يليق بجلاله ، وأنه (سبحانه) يعلم مايلج في الأرض ، ومايخرج منها ، وماينزل من السماء ، ومايعرج فيها ، وأنه مع جميع خلقه أينما كانوا ، وفي أي زمان كانوا ، فلا الزمان ولما المكان يقف عائقا أمام قدرة الله ، وهو (تعالى) مطلع علي جميع خلقه ، بصير بما يعملون ، وهو الذي له ملك السماوات والأرض ، الذي يليه ترجع الأمور ، وأن من الدلائل علي طلاقته قدرته أنه (تعالى) يولج الليل في النهار ويولج النهار في ليل ، وهو (سبحانه) عليم بذات الصدور ، فالكون كله خاضع لإرادته (تعالى) فهو خالقه ومبدعه ، والمتصرف فيه بما يشاء ، وهذه الصفات العليا من خصائص الإله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، فلا شريك له في ملكه ، ولما منازع له في سلطانه ، فهو رب كل شيء ومليكه ، بغير شريك ولما شبيهه ولما منازع ، المسيطر سيطرة مطلقة علي الوجود كله بكل مافيه ، ومن فيه ، فكل شيء بيديه ، وكل شيء راجع إليه ، لا يخفي شيء عن علمه ، ولما يخرج شيء عن أمره ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ،...!!!

يخاطب جماعة المؤمنين ، وتدعوهم إلي تجسيد إيمانهم بالله ورسوله في بذل الأموال والمهج والأرواح دفاعا عن هذا الدين ، وإلي الإنفاق مما جعلوا مستخلفين فيه حتي ينالوا الأجر الكبير من رب العالمين ، فالذي يفعل ذلك كأنما يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وله أجر كريم ، وبالإضافة إلي عمومية الدعوة إلي تلك الحقيقة ، فهي تذكرة دائمة لجماعة المؤمنين بما بذله السابقون من المهاجرين والأنصار في سبيل الله ، حتي يتأسوا بهم في التجرد الكامل ، والإخلاص الصادق لدين الله ، والمبذل والتضحية بالأموال والأنفس من أجل إعلاء كلمة الله في الأرض فلا تشدهم الحياة الدنيا عن الجهاد في سبيل الله مهما تكن المغريات ، ومهما تكن العوائق ،...!!!

ذلك تعرض الآيات لحال كل من المؤمنين والمؤمنات في جانب ، والمنافقين والمنافقات في جانب آخر يوم العرض الأكبر ، وشتان ما بين الحالين .

وتتساءل الآيات عن إمكان أن يكون الوقت قد حان لكي تخشع قلوب المؤمنين لذكر الله ، وما أنزل من الحق علي خاتم أنبيائه ورسوله حتي لا يكوّنوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون .

وتؤكد الآيات بعد ذلك مرحلة الحياة الدنيا ، وأنها ليست إلّا متاع الغرور ، فلا يجوز لعاقل أن ينخدع بها ، ويفني عمره في خدمتها ، لاهيا عن الآخرة وهي دار القرار ، ولذلك تنادي الآيات بالمسارعة إلي طلب المغفرة من الله ، وإلي العمل المخلص الدءوب من أجل الفوز بالجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ؛ وتضيف الآيات أن كل خطب جلل نزل بالأرض أو بالأنفس مدون في كتاب الله من قبل وقوعه ، وأن ذلك علي الله يسير ، كي ترضي كل نفسي مؤمنة بقدر الله - خيريه وشره - وتؤمن أن فيه الخير كل الخير ، فلا تبطر عند مسرة ، لأن الله تعالى لا يحب كل مختال فخور ، ولاتجزع عند مضرة لإيمانها بأن ذلك قدر مقسوم ، وأجل محتوم ، وأنه لاملجأ ولامنجي من الله إلّا إليه ،...!!!

وتنعي الآيات علي الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ، لأن الله تعالى كريم يحب كل كريم ، ومن يتول عن منهج الله فإن الله هو الغني الحميد .

وبعد هذه المقدمة الطويلة يأتي قلب السورة وسر تسميتها في الآية التي يقول فيها ربنا (تبارك وتعالى) : () لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومناضع للناس وليعلم الله من ينصره ورسوله بالغيب إن الله قوي عزيز ()

ثم تأتي الآيات الأربع الأخيرة في السورة لتعرض خط سير رسالة المهداية الربانية ، وتاريخ هذا الدين - دين الإسلام الذي علمه ربنا (تبارك وتعالى) ، ولأبينا آدم عليه السلام ، وأنزله علي فترة من الرسل من لدن نبي الله نوح (عليه السلام) ، إلي خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبدالله (عليه وعليهم أجمعين أفضل الصلاة وأزكي التسليم) ، والذي لا يرتضي ربنا (تبارك وتعالى) من عباده ديننا سواه بعد أن أكمله ، وأتمه ، وحفظه في بعثة هذا النبي الخاتم والرسول الخاتم (صلي الله وسلم وبارك عليه) ، وعلي

آله وصحبه أجمعين ، وأشارت الآيات إلي حال بعض من أهل الكتاب ومنهم أتباع نبي الله عيسى (عليه السلام) ، واختتمت المسورة بالدعوة إلي الإيمان بالنبي الخاتم والرسول الخاتم ، فضي ذلك دخول في رحمة الله ، وفي نوره ومغفرته ، وهو سبحانه صاحب الفضل العظيم ، والمنن العديدة التي يمن بها علي من يشاء من عباده .

والآية الكريمة التي نحن بصددنا تؤكد أن الحديد قد أنزل إنزالا كما أنزلت جميع صور الوحي السماوي ، وأنه يمتاز ببأسه الشديد ، وبمناضه العديدة للناس ، وهو من الأمور التي لم يصل العلم الإنساني إلي إدراكها إلا في أواخر الخمسينيات من القرن العشرين .

وهنا يبرز التساؤل : كيف أنزل الحديد؟ وماهو وجه المقارنة بين إنزال وحي السماء وإنزال الحديد؟ ماهو بأسه الشديد؟ وماهي مناضه للناس؟ وقبل الإجابة علي تلك الأسئلة لابد من استعراض سريع للدلالات اللغوية لبعض ألفاظ الآية الكريمة ، وكذلك للمواضع التي ورد فيها ذكر (الحديد) في كتاب الله (تعالى) .

الدلالات اللغوية لبعض ألفاظ الآية الكريمة :

(في الأصل هو هبوط من علو ، يقال في اللغة : (نزل) ، (ينزل) ، (نزولا) ، و (منزل) ، بمعنى حل ، يحل ، حلولا) ؛ نزل بفتح الميم والزاي هو (النزول) وهو الحلول و (نزل) ، عن دابته بمعنى هبط من عليها و (نزل) في مكان كذا أي حط رحله فيه ، و (المنزل) هو المضيف .

أنزله (غيره بمعنى أضافه أو هبط به) ؛ و (استنزله) بمعنى (نزله تنزيلا) ، و (التنزيل) أيضا هو القرآن الكريم ، الإنزال المضرق ، وهو الترتيب ؛ وعلي ذلك فإن الإنزال أهم من التنزيل ؛ و (المنزل) هو (النزول في مهلة) ، و (المنزل) هيا (لتنزيل) أي مايعد (للنازل) من المكان ، والفراش ، والمزاد ، والجمع (أنزال) ؛ وهو أيضا الحظ ، و (المنزل) بفتحين ، و (المنزل) الدار والمنهل (أي المورد الذي ينتهل منه لأن به ماء) ، أو هو عين ماء ترده الابل في ي ، وتسمى المنازل التي في المفاوز علي طرق (المسفار) ؛ و (المنزلة) مثله ، أو هي المرتبة أو المرتبة ؛ و (المنزلة) لما تجمع .

الاستنزال فلان (يضم التاء وكسر الزاي) أي حط عن مرتبته ، و (المنزل) يضم الميم وفتح الزاي (الإنزال) ، نقول : رب (منزل) مباركا ، وأنت خير (المنزليين) ؛ و (إنزال) الله (تعالى) نعمه ونقمه علي الخلق هو إعطاؤهم إياها ، وقال لمفسرون في قول الحق (تبارك وتعالى) : (ولقد رآه نزلة أخرى) ، إن (نزلة) هنا تعني مرة أخرى .

وله (تعالى) : جنات الفردوس نزلا قال الأخفش : هو من (نزول) الناس بعضهم علي بعض ، يقال : ما وجدنا عندك نزلا ؛ نزلة : المشددة من شدائد الدهر تنزل بالناس ، وجمعها (نوازل) ؛ و (النزال) في الحرب (المنازل) ؛ و (المنزلة) هي الزكمة من الزكام ، يقال به (نزلة) ، وقد نزل بضم النون .

الحديد في القرآن الكريم

ورد ذكر الحديد في كتاب الله (تعالى) في ست آيات متفرقات علي النحو التالي :

(1) "

قل كونوا حجارة أو حديدا
[الإسراء: 50]

(2) "

أتوني زبر الحديد
[المكف: 96]

(3) "

ولهم مقامع من حديد

" (المحج :21) □

□ (4) "

وأنا له الحديد

" (سبأ :10) □

□ (5) "

لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد

" (ق :22) □

□ (6) "

وأنازلنا الحديد فيه بأس شديد ومنازع للناس

" (المحديدي :25) □

وكلها تشير إلى عنصر الحديد ماعدا آية سورة ق والتي جاءت لفضة □ (حديد □) فيها في مقام التشبيه للبصر بمعنى أنه نافذ قوي يبصر به ما كان خفيا عنه في الدنيا □.

شروح المفسرين للآية الكريمة

ذكر ابن كثير □ (يرحمه الله □) في تفسير قول الحق □ (تبارك وتعالى □):

وأنازلنا الحديد فيه بأس شديد ومنازع للناس

□.

أي وجعلنا الحديد رادعا لمن أبي الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه □. ولهذا أقام رسول الله □ (صلي الله عليه وسلم □) بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية □. وكلها جدال مع المشركين □. وبيان وإيضاح للتوحيد □. وبياناته ودلائله □. فلما قامت الحجة علي من خالف □. شرع الله الهجرة □. وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب □. وقد روي الإمام أحمد □. عن ابن عمر قال □. قال رسول الله □ (صلي الله عليه وسلم □).

بعثت بالسيوف بين يدي الساعة حتي يعبد الله وحده لا شريك له □. وجعل رزقي تحت ظل رمحي □. وجعل الذلّة والصغار علي من خالف أمري □. ومن تشبه بقوم فهو منهم □

(ولهذا قال تعالى □):

فيه بأس شديد

□. يعني السلاح كالسيوف والحرايب والسنان ونحوها □. ومنازع للناس □. أي في معاشهم كالسكة والمفاس والمنشار والآلات التي

يستعان بها في الحراثة والحياكة والطبخ وغير ذلك □. وقوله تعالى □)

وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب

□. أي من نيته في حمل السلاح نصرته لله ورسوله □ (إن الله قوي عزيز □). أي هو قوي عزيز ينصر من نصره من غير احتياج منه إلي

الناس □. وإنما شرع الجهاد ليبلو بعضكم ببعض □.

وذكر صاحبنا تفسير الجلالين □ (رحمهما الله □) في تفسير هذه الآية الكريمة مانصه □: لقد أرسلنا رسلنا الملائكة إلي الأنبياء □)

ذات □. بالمحج المقواطع □. وأنازلنا معهم الكتاب □. بمعنى الكتب □. (الميزان □. العدل □). ليقوم الناس بالمقسط □. وأنازلنا الحديد □.

أي أنشأناه □. وخلقناه □. لقوله تعالى □)

وأنازل لكم من الأنعام ثمانية أزواج

□ أي خلق □. وقيل □. أخرجه من المعادن □. (فيه بأس شديد □) يعني السلاح □. يقابل به من أبي الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه □.

ومنازع للناس □. في معاشهم كالنفاس والمنشار وسائر الأدوات والآلات □. (وليعلم الله □) علم مشاهدة □. معطوف علي □ (ليقوم

لناس □) من ينصره □. بأن ينصر دينه بالآلات الحرب من الحديد وغيره □. ورسله بالغيب □. حال من هاء □. ينصره □. أي غائبا عنهم في

الدنيا □. قال ابن عباس □: ينصرونه ولما يبصرونه □ (إن الله قوي عزيز □) لاجابة له إلي المنصرة لكنها تنفع من يأتي بها □.

وذكر صاحب الظلال () رحمه الله رحمة واسعة (): وفي النهاية يجيء المقطع الأخير في السورة () يعرض باختصار خط سير الرسالة () وتاريخ هذه العقيدة من لدن نوح وإبراهيم () مقررًا حقيقتها وغايتها في دنيا الناس () ملما بحال أهل الكتاب () وأتباع عيسى - عليه السلام - بصفة خاصة () فالرسالة واحدة في جوهرها () جاء بها المرسل ومعهم الميّنات عليها () ومعظمهم جاء بالمبيّنات الخوارق () والنص يقول (): () وأنزلنا معهم الكتاب

() بوصفهم وحدة () ويوصف الكتاب وحدة كذلك () إشارة إلى وحدة الرسالة في جوهرها ()

() والميزان () مع الكتاب () فكل الرسالآت جاءت لتقر في الأرض () وفي حياة الناس ميزانًا ثابتًا ترجع إليه البشرية () ميزانًا لا يحابي أحداً لأنه يزن بالحق الإلهي للجميع () ولا يحيف علي أحد لأن الله رب الجميع ()

فلا بد من ميزان ثابت يثوب إليه البشر () ليقوم الناس بالقسط ()؛ ()

() وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس () وليعلم الله من ينصره () ورسله بالغيب () والتعبير بـ () أنزلنا الحديد () كالتعبير في موضع آخر بقوله تعالى ()

وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج

() كلاهما يشير إلى إرادة الله وتقديره في خلق الأشياء والأحداث () أنزل الله الحديد () فيه بأس شديد () وهو قوة الحرب والمسلم () ومنافع للناس () وتكاد حضارة البشر القائمة الآن تقوم على الحديد ()

وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ()

() وهي إشارة إلى الجهاد بالسلاح () تجيء في موضعها من السورة التي تتحدث عن بذل النفس والمال ()

ولما تحدث عن الذين ينصرون الله ورسله بالغيب () عقب علي هذا بإيضاح معني نصرهم لله ورسله () فهو نصر لمنهجه ودعوته () أما الله سبحانه فلا يحتاج منهم إلى نصر () إن الله قوي عزيز ()

وذكر صاحب - () صفوة البيان لمعاني القرآن ()... و ()

() أنزلنا الحديد ()

أي خلقناه لكم () كقوله تعالى ()

وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ()

أي هيأناه لكم () وأنعمنا به عليكم () وعلمناكم استخراجه من الأرض وصنعتة بالهأمانا ()

فيه بأس شدي

د () أي فيه قوة وشدة () فمنه جنة وسلاح () وآلات للحرب وغيرها () وفي الآية إشارة إلى احتياج الكتاب والميزان إلى المقائم بالسيف () ليحصل القيام بالقسط ()

ومنافع للناس

() في معاشهم ومصالحهم () وما من صنعة إلا والحديد آلتها () كما هو مشاهد () فالمنة به عظمي ()... ()

وقال صاحب () صفوة المتفاسير (): ()

وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد

() أي وخلقنا وأوجدنا الحديد فيه بأس شديد () لأن آلات الحرب تتخذ منه () كالدرع والرمح والتروس والديابيات وغير ذلك ومنافع للناس أي وفيه منافع كثيرة للناس كسكك الحرائث والمسكين والمأس وغير ذلك () وما من صناعة إلا والحديد آلة فيها () قال

أبوحيان () وعبر تعالي عن إيجاده بالإنزال كما قال ()

() وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ()

() لأن الأوامر وجميع القضايا والأحكام لما كانت تلقي من السماء جعل الكل ذلولًا منها () وأراد بالحديد جنسه من المعادن قاله

الجمهور ()

وذكر أصحاب () المنتخب في تفسير القرآن الكريم () مائنه () لقد أرسلنا رسلنا الذين اصطفينا لهم بالمعجزات المقاطعة () وأنزلنا معهم الكتب المتضمنة للأحكام وشرائع الدين والميزان الذي يحقق الإنصاف في التعامل () ليتعامل الناس فيما بينهم بالعدل () وخلقنا الحديد فيه عذاب شديد في الحرب () ومنافع للناس في السلم () يستغلونه في التصنيع () لينتفعوا به في مصالحهم ومعاشهم ()

وليعلم الله من ينصر دينه ، وينصر رسله غائباً عنهم إن الله قادر بذاته ، لا يفتقر إلي عون أحد .

وجاءوا في الهامش ببعض من صفات الحديد وفوائده .

حديد الأرض في العلوم الكونية

بينما لا تتعدى نسبة الحديد في شمسنا 0.0037% فإن نسبته في التركيب الكيميائي لأرضنا تصل إلي 35,9% من مجموع كتلة الأرض المقدرة بحوالي ستة آلاف مليون مليون مليون طن . وعلي ذلك فإن كمية الحديد في الأرض تقدر بأكثر من ألفي مليون مليون مليون طن . ويتركز الحديد في قلب الأرض ، أو ما يعرف باسم لب الأرض ، وتصل نسبة الحديد فيه إلي 90% ونسبة النيكل ، وهو من مجموعة الحديد ، إلي 9% وتتناقص نسبة الحديد من لب الأرض إلي الخارج باستمرار حتي تصل إلي 5,6% في قشرة الأرض .

وإلي أواخر الخمسينيات من القرن العشرين لم يكن لأحد من العلماء إمكانية التصور (ولو من قبيل التخيل) أن هذا المقدر الهائل من الحديد قد أنزل إلي الأرض من السماء إنزالاً حقيقياً !!

كيف أنزل؟ وكيف تسنى له اختراق الغلاف الصخري للأرض بهذه الكميات المذهلة؟ وكيف أمكنه الاستمرار في التحرك بداخل الأرض حتي وصل إلي لبها؟ وكيف شكل كلاً من لب الأرض الصلب ولبها السائل علي هيئة كرة ضخمة من الحديد والنيكل يحيط بها وشاح منصهر من نفس التركيب . ثم أخذت نسبته في المتناقص باستمرار في اتجاه قشرة الأرض الصلبة؟

لذلك لجأ كل المفسرين للآية الكريمة التي نحن بصددنا إلي تفسير (وأنزلنا الحديد)

بمعني الخلق والإيجاد والتقدير والتسخير . لأنه لما كانت أوامر الله تعالي وأحكامه تلقي من السماء إلي الأرض جعل المثل ذولاً منها . وهو صحيح . ولكن في أواخر القرن العشرين ثبت لعلماء الفلك والفيزياء ، الفلكية أن الحديد لا يتكون في الجزء المدرك من الكون إلا في مراحل محددة من حياة النجوم تسمى بالعماليق المحمر . والعماليق العظام . والتي بعد أن يتحول لبها بالكامل إلي حديد تنفجر علي هيئة المستعرات العظام . وبانفجارها تتناثر مكوناتها بما فيها الحديد في صفة الكون فيدخل هذا الحديد بتقدير من الله في مجال جاذبية أجرام سماوية تحتاج إليه مثل أرضنا الابتدائية التي وصلها الحديد الكوني . وهي كومة من الرماد فاندفع إلي قلب تلك الكومة بحكم كثافته العالية وسرعته المندفع بها فانصهر بحرارة الاستقرار في قلب الأرض وصهرها . ومايزها إلي سبع أرضين !! وبهذا ثبت أن الحديد في أرضنا ، بل في مجموعتنا الشمسية بالكامل قد أنزل إليها إنزالاً حقيقياً .

أولاً : إنزال الحديد من السماء

في دراسة لتوزيع العناصر المختلفة في الجزء المدرك من الكون لوحظ أن غاز الإيدروجين هو أكثر العناصر شيوعاً إذ يكون أكثر من 74% من مادة الكون المنظور . ويليه في الكثرة غاز الهيليوم الذي يكون حوالي 24% من مادة الكون المنظور . وأن هذين الغازين وهما يمثلان أخف العناصر وأبسطها بناءً يكونان معاً أكثر من 98% من مادة الجزء المدرك من الكون . بينما باقي العناصر المعروفة لنا وهي (103) عناصر تكون مجتمعة أقل من 2% من مادة الكون المنظور . وقد أدت هذه الملاحظة إلي الاستنتاج المنطقي أن أنوية غاز الإيدروجين هي لبنات بناء جميع العناصر المعروفة لنا وأنها جميعاً قد تخلصت باندماج أنوية هذا الغاز البسيط مع بعضها البعض في داخل النجوم بعملية تعرف باسم عملية الاندماج النووي تنطلق منها كميات هائلة من الحرارة . ويتم بتسلسل من أخف العناصر إلي أعلاها وزناً ذرياً وتعقيداً في البناء .

فشمسنا تتكون أساساً من غاز الإيدروجين الذي تندمج أنويته مع بعضها البعض لتكون غاز الهيليوم وتنطلق طاقة هائلة تبلغ عشرة ملايين درجة مئوية . ويتحكم في هذا التفاعل (بقدرة الخالق العظيم) عاملان هما زيادة نسبة غاز الهيليوم المتخلق بالتدرج . وتمدد الشمس بالارتفاع المطرد في درجة حرارة لبها . وباستمرار هذه العملية تزداد درجة الحرارة في داخل الشمس تدريجياً . وبازديادها ينتقل التفاعل إلي المرحلة التالية التي تندمج فيها نوى ذرات الهيليوم مع بعضها البعض منتجة نوى ذرات الكربون . ثم الأوكسجين 16 ثم النيون 20 ، وهكذا .

وفي نجم عادي مثل شمسنا التي تقدر درجة حرارة سطحها بحوالي ستة آلاف درجة مئوية . وتزداد هذه الحرارة تدريجياً في اتجاه مركز الشمس حتي تصل إلي حوالي 15 مليون درجة مئوية . يقدر علماء الفيزياء الفلكية أنه بتحول نصف كمية الإيدروجين

الشمسي تقريبا إلى الهيليوم فإن درجة الحرارة في لب الشمس ستصل إلى مائة مليون درجة مئوية . مما يدفع بنوي ذرات الهيليوم المتخلقة إلى الاندماج في المراحل التالية من عملية الاندماج النووي مكونة عناصر أعلى في وزنها الذري مثل الكربون ومطلقة كما أعلى من الطاقة . ويقدر العلماء أنه عندما تصل درجة حرارة لب الشمس إلى ستمائة مليون درجة مئوية يتحول الكربون إلى صوديوم ومغنيسيوم ونيون . ثم تنتج عمليات الاندماج النووي التالية عناصر الألومنيوم ، والسيليكون ، والكبريت والفسفور ، والكلور ، والأرجون ، والبيوتاسيوم ، والكالسيوم على التوالي . مع ارتفاع مطرد في درجة الحرارة حتى تصل إلى ألفي مليون درجة مئوية حين يتحول لب النجم إلى مجموعات التيتانيوم ، والفاناديوم ، والكروم ، والمنجنيز والحديد (الحديد والكوبالت والنيكل) ، ولما كان تخليق هذه العناصر يحتاج إلى درجات حرارة مرتفعة جدا لا تتوافر إلا في مراحل خاصة من مراحل حياة النجوم تعرف باسم العماليق الحمر والعماليق العظام وهي مراحل توهج شديد في حياة النجوم ، فإنها لا تتم في كل نجم من نجوم السماء ، ولكن حين يتحول لب النجم إلى الحديد فإنه يستهلك طاقة النجم بدلا من إضافة مزيد من الطاقة إليه ، وذلك لأن ذرة الحديد هي أشد نوي العناصر تماسكا ، وهنا ينفجر النجم على هيئة ما يسمى باسم المستعر الأعظم من النمط الأول أو الثاني حسب الكتلة الابتدائية للنجم ، وتتناثر أشلاء النجم المنفجر في صفحة السماء لتدخل في نطاق جاذبية أجرام سماوية تحتاج إلى هذا الحديد ، تماما كما تصل النيازك الحديدية إلى أرضنا بملايين الأطنان في كل عام .

ولما كانت نسبة الحديد في شمسنا لا تتعدى 0.0037% من كتلتها وهي أقل بكثير من نسبة الحديد في كل من الأرض والنيازك الحديدية التي تصل إليها من فسحة الكون ، ولما كانت درجة حرارة لب الشمس لم تصل بعد إلى الحد الذي يمكنها من إنتاج السيليكون ، أو المغنيسيوم ، فضلا عن الحديد ، كان من المبدئي استنتاج أن كلا من الأرض والشمس قد استمد ما به من حديد من مصدر خارجي عنه في فسحة الكون ، وأن أرضنا حينما انفصلت عن الشمس لم تكن سوى كومة من الرماد المكون من العناصر الخفيفة ، ثم رجمت هذه الكومة بوابل من النيازك الحديدية التي انطلقت إليها من السماء فاستقرت في لبها بفضل كثافتها العالية وسرعتها الكونية فانصهرت بحرارة الاستقرار ، وصهرت كومة الرماد ومايزنها إلى سبع أرضين : لب صلب على هيئة كرة ضخمة من الحديد (90%) والنيكل (9%) وبعض العناصر الخفيفة من مثل الكبريت ، والفسفور ، والكربون (1%) يليه إلى الخارج ، لب سائل له نفس التركيب الكيميائي تقريبا ، ويكون لب الأرض الصلب والسائل معا حوالي 31% من مجموع كتلة الأرض ، ويلى لب الأرض إلى الخارج وشاح الأرض المكون من ثلاثة نطق ، ثم الغلاف الصخري للأرض ، وهو مكون من نطاقين ، وتتناقص نسبة الحديد من لب الأرض إلى الخارج باستمرار حتى تصل إلى 5,6% في قشرة الأرض وهي المناطق الخارجة من غلاف الأرض الصخري .

من هنا ساد الاعتقاد بأن الحديد الموجود في الأرض والذي يشكل 35,9% من كتلتها لابد وأنه قد تكون في داخل عدد من النجوم المستعرة من مثل العماليق الحمر ، والعماليق العظام والتي انفجرت على هيئة المستعرات العظام فتناثرت أشلاؤها في فسحة الكون ونزلت إلى الأرض على هيئة وابل من النيازك الحديدية ، وبذلك أصبح من الثابت علميا أن حديد الأرض قد أنزل إليها من السماء ، وأن الحديد في مجموعتنا الشمسية كلها قد أنزل كذلك إليها من السماء ، وهي حقيقة لم يتوصل العلماء إلى فهمها إلا في أواخر الخمسينيات ، من القرن العشرين ، وقد جاء ذكرها في سورة الحديد ، ولما يمكن لعامل أن يتصور ورودها في القرآن الكريم الذي أنزل منذ أكثر من أربعة عشر قرنا على نبي أمي (صلي الله عليه وسلم) ، وفي أمة كانت غالبيتها الساحقة من الأميين ، يمكن أن يكون له من مصدر غير الله الخالق الذي أنزل هذا القرآن بعلمه ، وأورد فيه مثل هذه الحقائق الكونية لتكون شاهدة إلى قيام الساعة بأن القرآن الكريم كلام الله الخالق ، وأن سيدنا محمدا (صلي الله عليه وسلم) ، ما كان ينطق عن الهوي (إن هو إلا وحي يوحى) * علمه شديد القوى .

ثانياً : البأس الشديد للحديد

الحديد عنصر فلزي عرؤه القدماء ، فيما عرفوا من الفلزات من مثل الذهب ، والفضة ، والمنحاس ، والرصاص ، والقصدير والزنبق ، وهو أكثر العناصر انتشارا في الأرض (35,9%) ويوجد أساسا في هيئة مركبات الحديد من مثل أكاسيد ، وكربونات ، وكبريتيدات ، وكبريتات وسيليكات ذلك العنصر ، ولما يوجد على هيئة الحديد النقي إلا في النيازك الحديدية وفي جوف الأرض .

والحديد عنصر فلزي شديد البأس ، وهو أكثر العناصر ثباتا وذلك لشدة تماسك مكونات النواة في ذرته التي تتكون من ستة وعشرين بروتونا ، وثلاثين نيوترونا ، وستة وعشرين إلكترونا ، ولذلك تمتلك ذرة الحديد أعلى قدر من طاقة التماسك بين جميع نوي العناصر الأخرى ، ولذا فهي تحتاج إلى كميات هائلة من الطاقة لتفتيتها أو للإضافة إليها .

ويتميز الحديد وسبائكه المختلفة بين جميع العناصر والسبائك المعروفة بأعلى قدر من الخصائص المغناطيسية ، والمرونة ، والمقابلية للطرق والسحب وللتشكل ، والمقاومة للحرارة ولعوامل التآكل الجوية ، فالحديد لا ينصهر قبل درجة 1536 مئوية ،

ويغلي عند درجة [3023] درجة مئوية تحت الضغط الجوي العادي عند سطح البحر [1]، وتبلغ كثافة الحديد [7,874] جرام للسنتيمتر المكعب عند درجة حرارة الصفر المطلق [2].

ثالثا [3]: [4] منافع الحديد للناس

للحديد منافع جمة وفوائد أساسية لجعل الأرض صالحة للعمران بتقدير من الله [5]، ولبناء اللبنات الأساسية للحياة التي خلقها ربنا [6]، تبارك وتعالى [7]، فكمية الحديد الهائلة في كل من لب الأرض الصلب [8]، ولبها المسائل تلعب دورا مهما في توليد المجال المغناطيسي للأرض [9]، وهذا المجال هو الذي يمسك بكل من الغلاف الغازي والمائي والحيوي للأرض [10]، وغلاف الأرض الغازي يحميها من الأشعة والجسيمات الكونية ومن العديد من أشعات الشمس الضارة [11]، ومن ملايين الأطنان من النيازك [12]، ويساعد علي ضبط العديد من العمليات الأرضية المهمة من مثل دورة كل من الماء [13]، والأكسجين [14]، وثاني أكسيد الكربون [15]، والداوزون وغيرها من العمليات اللازمة لجعل الأرض كوكبا صالحا للعمران [16].

والحديد لازمة من لوازم بناء الخلية الحية في كل من النبات والحيوان والانسان إذ تدخل مركبات الحديد في تكوين المادة الخضراء في النباتات [17] (الكلوروفيل [18]) وهو المكون الأساسي للبلاستيدات الخضراء التي تقوم بعملية التمثيل الضوئي اللازمة لنمو النباتات [19]، ولانتاج الأنسجة النباتية المختلفة من مثل الأوراق والأزهار [20]، والبذور والثمار والتي عن طريقها يدخل الحديد إلي أنسجة ودماء كل من الانسان والحيوان [21]، وعملية التمثيل الضوئي هي الوسيلة الوحيدة لتحويل طاقة الشمس إلي روابط كيميائية تختزن في أجساد جميع الكائنات الحية [22]، وتكون مصدرا لنشاطها أثناء حياتها [23]، وبعد تحلل أجساد تلك الكائنات بمعزل عن الهواء تتحول إلي مختلف صور الطاقة المعروفة (الشمس [24]، والحطب [25]، والفحم النباتي [26]، والفحم الحجري [27]، والغاز الفحمي والنفط [28]، والغاز الطبيعي وغيرها [29])، والحديد يدخل في تركيب بروتينات ذوات الخلية الحية الموجودة في المادة الحاملة للشفرة الوراثية للخلية [30] (الصبغيات [31])، كما يوجد في سوائل الجسم المختلفة [32]، وهو أحد مكونات الهيموجلوبين وهي المادة الأساسية في كرات الدم الحمراء [33]، ويقوم الحديد بدور مهم في عملية الاحتراق الداخلي للأنسجة والتمثيل الحيوي بها [34]، ويوجد في كل من الكبد [35]، والمطحال والكلبي [36]، والعضلات والنخاع الأحمر [37]، ويحتاج الكائن الحي إلي قدر محدد من الحديد إذا نقص تعرض للكثير من الأمراض التي أوضحتها فقر الدم والحديد عصب الصناعات المدنية والعسكرية فلا تكاد صناعة معدنية أن تقوم في غيبة الحديد [38].

العلاقة بين رقم سورة الحديد في المصحف الشريف ورقم الآية في السورة بكل من الوزن الذري والمعدن الذري للحديد علي التوالي

للحديد ثلاثة نظائر يقدر وزنها الذري بحوالي [57,56,54] ولكن أكثرها انتشارا هو النظير الذي يحمل الوزن الذري [56(55,847)].

ومن الغريب أن رقم سورة الحديد في المصحف الشريف هو [57]، وهو يتفق مع الوزن الذري لأحد نظائر الحديد [39]، ولكن القرآن الكريم يخاطب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) [40] في سورة الحجر بقول الحق (تبارك وتعالى): [41]

ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (الحجر: 87) [42]

وواضح من هذه الآية الكريمة أن القرآن الكريم بنصه يفصل فاتحة الكتاب عن بقية القرآن الكريم [43]، وبذلك يصبح رقم سورة الحديد [56] وهو الوزن الذري لأكثر نظائر الحديد شيوعا في الأرض [44]، كذلك وصف سورة الفاتحة بالسبع المثاني وآياتها ست يؤكد أن البسملة آية منها [45]، ومن كل سورة من سور القرآن الكريم ذكرت في مقدمتها [46]، وقد ذكرت في مقدمة كل سور القرآن الكريم ماعدا سورة (التوبة) [47]، وعلي ذلك فإذا أضفنا البسملة في مطلع سورة الحديد إلي رقم آية الحديد وهو [25] أصبح رقم الآية [26] وهو نفس العدد الذري للحديد [48]، ولما يمكن أن يكون هذا التوافق الدقيق قد جاء بمحض المصادفة لأنها لا يمكن أن تؤدي إلي هذا التوافق المبهر في دقته [49]، وصدق الله العظيم الذي قال في وصفه للقرآن الكريم [50].

لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفي بالله شهيدا [51]
(النساء: 166) [52]

وقوله تعالى:

"أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا"

